

واستألفهم إليه ، إذ كان في حاجة إليهم يومئذ ، واسترضائهم في ذلك العهد ، وليس للسمودي أدنى خيال في هذه المسألة . فهو إذًا ناقل لا قائل ، وللمسمودي مؤرخ أمين وقي ، لا يستحق أن يغمز غمزات هو برىء منها

٣ - معالجتنا لهذا الموضوع قبل ٣٥ سنة

وكنا قد عالجنا هذا الموضوع منذ أكثر من ٣٥ سنة ، فأدرجنا في المشرق (من مجلات بيروت) في سنة ١٩٠٤ في مجلدها السابع ص ٣٤٠ إلى ٣٤٣ مقالة عنوانها : (العرب أو السَّرَاقِينُ) . ثم عدنا إلى البحث ، فنشرنا في مجلتنا لثة العرب ٧ : ٢٩٣ إلى ٢٩٧ مقالاً وسَمَّاهُ (السَّرَقِينُ أو السَّرَوِيون) ، وفي ٧ : ٤٨٨ و ٤٨٩ أيضاً . وعدنا إلى البحث رابعة فأصدرنا مقالة في لثة العرب المذكورة في ٨ : ٥٨٤ وسَمَّاهُ (السَّرَوِيون) ، وبيننا أن (سرا كينوى) هم السَّرَوِيون أو أهل الشِراء ، وهو اسم العرب الذين يقطنون الشِراء ، وهو صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول ، وكان من عمل جند دمشق والآن نقول إن صحيح الاسم هو الشِراء بالسين المهملة ، لا الشِراء بالسين الممجة

وأما كيفية تحويل الشِراء إلى (سرا كينوى) فظاهر من أن الشِراء ، وهي تشبه سارة بعض الشبه إذا ما كتبت بحروف يونانية أو رومانية ، كُتبت بأداة النسب عندهم ، فصارت (سرا كينوس) بالفرد ، و(سرا كينوى) بالجمع . فانتبه هذه الفرصة الملك تقفور وأول اللفظ بالوجه الذي نقله السمودي هذا هو تأويل اللفظ اليوناني ، وهذا هو وجه تحويله إلى ما تراه وتسمع به

٤ - ذكر اللفظة غير السمودي

أما قول الأستاذ العمودي (ص ١٩٣٩ من الرسالة) : « هذه الكلمة قد سجلها التاريخ في مطاويه منذ عهد عريق جداً ، فالعرب لا تعرفها مطلقاً ، إذ لم تشتهر في تاريخهم ، وما وردت في نظمهم ولا تترجم . فإذا كان السمودي هو المؤرخ الوحيد الذي ذكرها ، فلا شك أنها هبطت عليه عرضاً ، واقتنصها اقتنصاً من أحاديث الروم . ومعنى هذا أنها غير مشهورة

السرا كينوى هم السرويون للأب أنستاس ماري الكرملي

١ - السرا كينوى لا السرا كينوس

كتب حضرة الأستاذ الجليل محمد عبد الله العمودي مقالة بعنوان (السارا كينوس) في الجزء ١١٣٢٧ من (الرسالة) ، وتَقَلَّ عبارة السمودي المأثورة عن تقفور الأول ، ملك الروم ، وهي : « وأنكر على الروم تسميتهم العرب (سارا كينوس) ، تفسير ذلك : عبید سارة ، طعناً منهم على هاجر وابنها إسماعيل ، وقال : تسميتهم عبید سارة كذب . والروم إلى هذا الوقت (يعني سنة ٣٤٥) تسمى العرب (سارا كينوس) ... »

قلنا : إن حضرة الأستاذ خُذع بما طبع من نص هذا الكتاب ، إذ نقل (سارا كينوس) أو (سارا كينوس) بمعنى العرب . والصواب أن قد وقع خطأ في طبع هذا الاسم وهذا الصواب هو (سارا كينوى) أو (سارا كينوى) ؛ أي بياء في الآخر في مكان السين . وأما إذا كان اللفظ مختموماً بسين فيدل على الفرد لا على الجمع ، كما هو مشهور في تلك اللغة

٢ - معناها

وأما أن تقفور قال : معناها عبید سارة ، فهو من تأويله الخاص به ، ولم يذهب إليه أحد من العلماء الأقدمين ، ولا من المحدثين . وأنت علم أن هذا الملك وُلِدَ في سلوقية العراقية ، في جوار المدائن ، وكان فيها يومئذ مدارس عامرة تضارع أشهر مدارس ربوع اليونان ؛ فتبحر تقفور فيها كما تبخر في مطالعة التواريخ القديمة . ولو كان معنى هذه الكلمة كما يقول هذا الملك لثقل Sara-Ktènoi (أي سارا كينوى) ، أي مملوكات أو ممالك سارة ، لكن لم ينطق أحد من المؤرخين أو المؤلفين بهذا اللفظ ، اللهم إلا أن يكون قد نَحِتَ ومُحَفَّ قَئِيلَ ما قِيلَ . لكن يبقى أن هذا التأويل خاص بالملك تقفور دون غيره ؛ ويدل على قوة فكره ، وتضلعه من اليونانية ، وتلاعبه بالألفاظ والتصرف في التخريج وأوَّلَ هذا التأويل ترفلاً من الناطقين بالضاد ،

٦ - صرافة الساراكينوى للسرويين في مبيع ما نقل عنهم

إذا حفظت في صدرك ما بسطناه لك ، أنجحت لك عرائس الحقائق بوجهها الصبيحة . فقد نقل الأستاذ الفاضل من الملمة الإيطالية : « إن هذه الكلمة أصبحت اليوم علماً خاصاً يطلق على العرب ، فإن مفهومها قديماً كان على عكس ذلك ؛ فقد كانت تدور في دائرة ضيقة من التعريف لا تطلق على الشعب العربي كله إنما كانت خاصة بقبيل معين يسكن على شواطئ خليج العقبة في الجزء الجنوبي لجزيرة سيناء يعرفه الإغريق بـ (ساراكين) اه . فهذا داخل في أن هذا الجزء من سيناء هو من ملحقات السراة لا غير

وقول الأستاذ العمودي : « وأقدم ذكر جاء لهذه الكلمة في كتاب المؤرخ الإغريقي Dioscorids of Anazarabos في منتصف القرن الأول من ميلاد المسيح عند ما وصف صمغ « المقل » ، فقال : إنه ينبت من « شجرة ساركينية » اه . قول يحتاج إلى تصحيح فيقال : « وأقدم ذكر جاء لهذه الكلمة (هو) في كتاب الطيب الشجار الإغريقي ذياسفوريس المين زربي^(١) ، من أبناء المائة الأولى للمسيح حينما وصف صمغ « المقل » ، فقال : « صمغ شجرة تكون ببلاد العرب » (عن ابن البيطار في مادة « مقل » ٢ : ١٦٢ من طبعة مصر) وأحسن من هذه العبارة هذه الترجمة : « هو صمغ شجرة تكون في السراة أو في السروات »

وقال الأستاذ العمودي نقلاً عن معلمة الإسلام وإن لم يصرح به : « وذكر المؤرخ الروماني بلينوس الأكبر في كتابه « التاريخ الطبيعي » ، وقد كان معاصراً للإغريقي السابق الذكر ، هؤلاء

(١) نقل الأستاذ كلامه عن معلمة الإسلام ولم يشر إليها ، ورواية الملمة سالمة من التصحيف فليرجع إليها : وراجع تاريخ الحكماء لابن القفطي ص ١٨٣ من طبعة الأفرنج ، والفهرست ص ٢٩٣ من طبعة أوربة ، فقد قال الأول : معنى اسمه في اليونانية : شجار الله ، لأن ذياسفور : شجار ، ورفوس : الله ، أي ملهم الله على القول في الأشجار والحشائش ، وللمشهور من ذياسفوريس أو ديسفوريس ، كما يكتبها آخرون ، لم يكن مؤرخاً بل كان طبيباً وشجاراً ، وصف أحسن وصف العقاقير الطبية ، وعتة نقل معظم العرب ما ذكروه عن الأبنية وخصائصها الطبية كابن البيطار والنافيق وأبي الريحان البيروني ، وحيتس ، والتمبي ، والبصري ، والشريف ، وإسحق بن عمران ، والنصور ، وأبي الباس الحافظ ، وغيرهم

بين العرب ، ولا جارية على ألسنتهم ، فهم يجهلون كل الجهل ، جهلهم بأصلها »

جوابنا هو : لا يمكن أن تكون هذه اللفظة معروفة عند العرب بهذه الصيغة المفلوجة الموحجة ؛ إنما يقولون : أهل السراة أو السرويون . - وأما أن السمودي هو المؤرخ الوحيد الذي ذكرها ، فنحن لا نوافق عليه حضرة الكاتب الجليل ، فقد ذكرها ابن الأثير أيضاً في تاريخه (١ : ٢٤٠ من طبعة الإفرنج) بصورة (ساراقبوس) ونقل عبارة تفنور عينها ، فقال : « وكانت الروم تسمى العرب سراقبوس (كذا) ، يعنى عبادة سارة بسبب هاجر أم إسماعيل . فهاهم عن ذلك » اه

ومعلوم أن ابن الأثير جاء بعد السمودي بنحو ثلثمائة سنة ، فلا جرم أنه نقل هذا الخبر عنه . وكنت قد قرأت في كتاب تاريخ قديم سبق السمودي بنحو مائة وخمسين سنة ، وهو لنصراني ذكر (الساراكينوى) فيكون هو أول مؤرخ عربي ذكرهم بهذا الاسم ، فأخذ عنه سائر مؤرخي العرب ، لكني لا أتذكر اسمه ، ولا اسم كتابه

وعلى كل فليس للسمودي أدنى خيال في هذه الكلمة ، فهو ناقل ، ثقة ، حجة ، ثبت ، يعتمد عليه

٥ - لما سمي العرب سراكينوى أي سرويين

إن الأمة الواحدة ، الوافدة على أمة ثانية ، إذا اتصلت بها حديثاً وهي لا تعرفها ، سميت المجهولة باسم تذكر لها الأولى ، كما أنه إذا جاءك طاري مجهول اسمه ، فإنك تسميه بمد ذلك بالاسم الذي عرفتك به ، لا بالاسم الذي تضعه أنت له . فالليونان والرومان اتصلوا بعرب السراة أو السروات منذ أقدم الأزمنة ، فذكروهم بالاسم الذي تسمواهم به ، ثم أطلقوه على العرب جميعهم من باب تسمية الكل باسم الجزء ، كما أن الإزميين لا يعرفون العرب إلا باسم (طائين) لأنهم أول ما عرفوا منهم ، كانوا من طي لجاورتهم لهم ، واتصلهم بهم ، ثم أطلقوا هذا على العرب جميعهم وإن لم يكونوا من طي . ومثل هذه التسمية كثيرة الوقوع في التاريخ

« السراكين » ، فقال : « إنهم من جلة القبائل العربية النابوية في صميم الصحراء ، والتي تتأخم بلادهم بلاد الأنباط » اه
 قلنا : ولو قيل : « إن السرويين أو أهل السراة هم من جلة القبائل العربية ... » ، لكان الكلام عين الصواب . لأن صفة البلاد التي وصفها بليينوس هي صفة ديار السرويين تماماً ومن مقال الأستاذ العمودي ، وهو مقتبس أيضاً من المملة الإسلامية : « وجاء على أثر هؤلاء ؛ المؤرخ بطليموس ، في منتصف القرن الثاني للميلاد ، فذكر بلاد « السراكين » Sarakene فقال : « إنها تقع في بلاد العرب الحجرية Arabia Petrea ، وعين مكانها بقوله إنها تقع في غرب الجبال السوداء (لعل الصواب السود) التي تمتد - بناء على قوله - من خليج فاران إلى أرض اليهودية ... »
 قلنا : وهذا يثبت ما ذهب إليه وُصِّفَ البلدان من السلف أي أن السروات تمتد من أقصى اليمن إلى الشام »
 وأما قول الأستاذ العمودي : « ولم يكتف المؤلف بكلامه هذا ، بل عاد وتقص قوله ، فقال في موضع آخر من مؤلفه : « إن « السراكين » شعب يقم في داخلية بلاد العرب السعيدة

Arabia Feliza (كذا . ولعل الصواب Ar. Felix) يقصد بذلك بلاد اليمن وزاد على ذلك فقال : إن السكينتس Skenites وقوم عاد Oaditai يسكنون الهضاب المرتفعة ، وبالقرب منهم نحو الشمال والجنوب يوجد « السراكينوس » و « الحموديون » اه
 ثم قال الأستاذ العمودي : وهذه الفقرة الأخيرة من بطليموس بعيدة عن أفهامنا كذا البعد إذ لا يصدق مطلقاً أن توجد قرابة في السكن بين « السراكينوس » و « الماديين » مثلاً . فأولئك - كما علمنا - مساكنهم حوالى جزيرة سيناء ، وهؤلاء مثاويهم في جبال حضرموت ، والمسافة بين البلدين طويلة لا تقاس » اه
 قلنا : إن حفظنا في ذاكرتنا السروات وأنها تمتد من أقصى اليمن ، وفيها حضرموت ، إلى الشام ، فهدنا كلام بطليموس كل الفهم ، وبلا أدنى صعوبة ، من أوله إلى آخره ، وأن ليس ثم أدنى مناقضة . فبعض المؤرخين من اليونان والرومان تكلموا على قسم من ديار السرويين ، وآخرون على القسم الأوسط ، وكثيرون على أقصى تلك الربوع ، حسب احتياج الكاتب إلى ذكر قسم دون قسم آخر من السراة
 (البحث بقية - بغداد) الأوب أنتاس مارى الكرمل

شركة مصر للملاحة البحرية

ببواخرها الفاخرة وفنادقها الأنيقة

تسير بكم على بركة الله إلى بيت الله الحرام

وبنك مصر يؤدى لكم جميع الخدمات المصرية وينولى عنكم دفع الرسوم

نخذوا أهبتكم للحج هذا العام

جميع الاستعلامات من :

شركة مصر للملاحة البحرية وفروعها